مجلة. هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية. | المجلد.5/ العـــدد: .2(2021)، ص180-196

عناصر الدّعم في العمائر الدينية العثمانية بالغرب الجزائري

دراسة تنميطية "مساجد مدينة معسكر أنموذجا"

Primary elements in the Ottman religious architecture in Western Algeria

"Mascara city mosques have been selected as samples"

إبراهيم مجاهدي*	آمال يوسفي
مخبر التراث الأثري وتثمينه جامعة تلمسان (الجزائر)	مخبر التراث الأثري وتثمينه جامعة تلمسان (الجزائر)
brahimtlmcuat@gmail.com	amelyousfi113@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: ....19.../...05...../..../2021..... **تاريخ القبول:** ....04../...../07...../...2021...

ملخص:

يعد هذا البحث دراسة جادّة للوقوف على أهم عناصر الدّعم في العمارة الدّينية بالغرب الجزائري المنشأة خلال التّواجد العثماني به، ولقد وقع اختيارنا على مساجد مدينة معسكر لسببين، أوّلهما كون هذه الأخيرة اتّخذت لفترة طويلة عاصمة لبايلك الغرب من جهة، ومن جهة ثانية كون هذه العيّنات المختارة من المساجد لم يتم التّغيير فيها كثيرا أو على الأقل في عناصر الدّعم بها.

كلمات مفتاحية: عناصر الدّعم، العمائر الدّينية العثمانية، معسكر.

Abstract:

The present research is a thorough examination of the most significant primary elements of religious architecture in western Algeria that were developed during the Ottoman occupation. For two reasons, Mascara city mosques have been chosen: first, that for a long time Mascara was the capital city of the western Belic, and secondly, that the selected samples from these mosques have not modified significantly, or at least in terms of their foundation structures.

Keywords : *Primary elements in architecture, Ottoman religious architecture, Mascara.*

* إبراهيم مجاهدي

مقدمة:

إنّ العمارة لا تقوم ولا تكتمل إلّا بقيام مجموعة من العناصر، والتّي تعمل باكتمالها وتوظيفها على الإخراج النهائي للمبنى، مثلما حدث مع مسجدا معسكر العثمانيين، حيث اشتركت بعض العناصر المعمارية في نفس الأنموذجين واختلفت في أحيان أخرى، وعلى كلّ فإنّ جلّ هذه العناصر يتوزع دورها ما بين إحدى الوظيفتين الإنشائية أو الجمالية، أو بتداخلهما معا أحيانا.

أ- إشكالية الدّراسة وتساؤلاتها:

مقابل كلّ ما ذكر سابقا، كان ولا بدّ لنا من تسليط الضّوء على عناصر الدّعم بمسجدي معسكر العثمانيين، وإسقاط حيثيات هذا الأمر على التّوجّهات العّامة للعمارة الدّينية العثمانية بالجزائر عامّة وبالجهة الغربية للوطن خاصّة، من هنا أتت هذه الورقة البحثية لتميط اللّثام عن هذه المسألة المعمارية الأثرية، وتجيب على إشكالية رئيسية مفادها: **على أيّ مدى يمكننا تبنّي نمط عناصر الدّعم بمسجدي معسكر العثمانيين كمعيار أساسي لمعرفة التّوجه العام لتقنيات وفنّيات وأنواع هذه العناصر المعمارية في المنشآت الدّينية العثمانية بالغرب الجزائري؟**

وبهدف الإجابة على هذه الإشكالية ارتأيت طرح مجموعة من التّساؤلات المتفرّعة عنها:

- ما هو المجال العام الجغرافي للدّراسة وتطوّره التّاريخي؟
- أين يقع المسجدان المعنيّان بالدّراسة؟ وما هو تاريخهما؟
- كيف جاء تشكيلهما التّخطيطي ومخطّطهما العام؟
- ما هي أنواع وأنماط ومميّزات العناصر المعمارية الخاصّة بالدّعم في هاذين المسجدين؟

ب-أهميّة الدّراسة:

تكمن أهميّة هذه الدّراسة في كونها تعالج جانبا معماريا مهما يتمثّل في عناصر الدّعم في العمائر العثمانية بالغرب الجزائري وأنماطها، والتّي تعتبر العمود الفقري لقيّام هذه العمائر وبقائها.

كما ترجع أهميّة هذه الدّراسة كذلك إلى عملها على إثبات أنّ العناصر المعمارية الخاصّة بالدّعم في العمائر الدّينية العثمانية بالجزائر عامة والجهة الغربية خاصّة رغم تنوّع أشكالها وتقنياتها ومواضعها إلّا أنّها حافظت على أهمّيتها الوظيفية من جهة، والجمالية من جهة أخرى.

وانطلاقا من هذه الأسس فإنّ دراستنا قسّمت إلى أربعة (4) محاور رئيسية هي:

- المعطيات العامّة للدّراسة
- تاريخ مساجد معسكر خلال الفترة العثمانية وموقعها
- التشكيل المعماري العام للمسجدين العثمانيين بمدينة معسكر.
- عناصر الدّعم بمسجدي معسكر العثمانيين.

1- المعطيات العامّة للدّراسة:

تعتبر معسكر عاصمة الرّاشدية التّي تمتدّ شرقا حتّى جبل المناور وغربا إلى غاية جبل كرسوط وصولا إلى قلعة بني راشد شمالا ووادي البنيان جنوبا[1]، وصفها الكثير من الرّحالة كابن حوقل وحسن الوزّان وحمدان خوجة وغيرهم، ولقد خضعت معسكر بعد الفتح الإسلامي للمنطقة إلى عدّة تنظيمات سياسية كالرّستميين والأدارسة والفاطميين، إلى أن اتّخذها بنو زيان أيام يغمراسن قاعدة عسكرية تحت إمرة قبائل الحشم[2]، وبقيت الأمور هكذا بها إلى دخول الإسبان سنة 1505م أولا، ثم 1518م ثانيا بمساعدة السلطان الزّياني أبو حموّ موسى الثالث وتمكينهم من القضاء على القائد العثماني بقلعة بني راشد إسحاق أخو خير الدين[3]، بقيت معسكر قرية صغيرة حتى مطلع القرن 18م أين نقل إليها الباي مصطفى بوشلاغم مركز البايلك من القلعة سنة 1701م[4]، ظهر بها بعد هذه الفترة مؤسسات علمية كثيرة كزاوية القيطنة وزاوية أبي رأس وجامعا الدار البيضاء والكبير ومسجدا قريتا الكرط والبرج، كما اشتهرت بعدد كبير من العلماء كالقلعي الرّماصي وعبد القادر المشرفي وأبا رأس الناصري[5]، وتواصل تطور مدينة معسكر خلال العهد العثماني إلى غاية دخول المستدمر الفرنسي إلى الجزائر، أين اتّخذها الأمير عبد القادر عاصمة له بداية من مبايعته سنة 1832م.

2- تاريخ مساجد معسكر خلال الفترة العثمانية وموقعها:

بعد أن تمّ اتخاذ معسكر كمستقر لباي المقاطعة الغربية ازدهر فيها العمران، ولعلّ ما ميّز تلك الفترة هو التّهافت الكبير للحكام نحو إنشاء عمائر دينية تخلّد ذكراهم، من أهم هذه المنشآت نجد جامعي الكبير والعين البيضاء بوسط هذه المدينة.

---

[1] شرف عبد الحق، العربي المشرفي بن عبد القادر بن علي : حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، ص16.

[2] مجموعة قبائل دخلت أراضي سهل غريس، انضمّوا إلى الدّولة الزّيانية ضدّ بني توجين في تيهرت، أنظر: بلهاشمي بكّار، كتاب مجموع النّسب والحسب والفضائل والتّاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة بن خلدون، 1961م، ص33.

[3] شرف عبد الحق، المرجع السّابق، ص20.

[4] خرّوبي فتيحة، بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوّره فيما بين 1563م و 1792م، مجلة المرآة للدراسات المغاربية، العدد 1، جامعة أحمد بن بلة ، وهران، 2014م، ص103.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص183.

أ- **المسجد الجامع الكبير:** يتوسّط الجامع الكبير مدينة معسكر إذ يقع في ساحة الشيخ مصطفى بن التّهامي، ويعتبر أوّل ما بني من العمارة الدّينية بالنّواة العثمانية للمدينة.

أمر ببناء هذا الجامع الحاج عثمان باي[6] سنة 1747م وهي سنة تعيينه بايا على الإيّالة الغربية، حسب ما جاء في نصّ اللّوحة التّأسيسية المثبّتة أعلى مدخله الرّئيسي[7]، كما أورد بن عودة المزاري في طلوع سعد السّعود والزّيّاني في دليل الحيران نفس المعطيات التّاريخية، ثمّ قام فيما بعد الباي محمد الكبير بن عثمان بتجديده وتوسيع مساحته وجلب المياه إليه واستبدال منبره[8].

ب-**مسجد عين البيضاء:** يدعى كذلك مسجد الباي محمد الكبير وأيضا مسجد المبايعة ومسجد سيدي حسان، وغلب عليه اسم مسجد عين البيضاء لتواجده بالمنطقة المسماة بذلك.

شيّده الباي محمد بن عثمان الكردي سنة 1780م حسب ما ورد في الكتابة التّأسيسية المحفورة على الجصّ بواجهة المحراب.

الباي	مدة حكمه	المسجد المنجز من طرفه
الحاج عثمان بن الحاج إبراهيم	**1160-1170هـ الموافق 1747-1756م**	**شيّد الجامع الكبير بأمر منه سنة 1160هـ/ 1747م وألحق به دارا والقبّة سنة 1167هـ/1753م.**
محمد بن عثمان الكبير	**1192-1213هـ الموافق 1778-1799م**	**شيّد جامع عين البيضاء والمدرسة المحمديّة سنة 1195هـ/1780م**

المعطيات التّاريخية لإنشاء مسجدا معسكر العثمانيان.

3-التشكيل المعماري العام للمسجدين العثمانيين بمدينة معسكر:

من دون شك فإنّ المسجدين العثمانيين بمعسكر قد تعرّضا للمساس في التّصميم العام، ولا غرابة في ذلك إذا أرجعناه إلى عدد من العوامل والمعطيات التّاريخية والاجتماعية وحتّى الدّيمغرافية، فالباي محمد بن عثمان كما أشرنا

---

[6] الحاج عثمان أو عصمان هو الباي الثالث والعشرين للإيالة الغربية حكم 9 أعوام، توفيّ ودفن بمعسكر.

[7] المدخل الرّئيسي الأصلي مدمج حاليا مع الزّيادة في بيت الصّلاة.

[8] أحمد بن هطّال التّلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم : محمد بن عبد الكريم، ط1، دار عالم الكتب للنشر والتّوزيع، القاهرة، 1969م، ص 28. وانظر أيضا : أحمد بن سحنون الرّاشدي، الثّغر الجماني في ابتسام الثّغر الوهراني، تحقيق وتقديم : مهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973م،ص 127.

سابقا قد وسّع الجامع الكبير[9]، ثمّ قام السّاكنة بمعسكر بتوسيعه مرّة أخرى زمن مفتي معسكر الشيخ بكّارة بن الهاشمي (أو بلهاشمي) أوائل النصف الثّاني من القرن العشرين، أمّا المسجد الثاني فقد حوّله المحتل الفرنسي إلى مستودع للعتاد العسكري حتّى أوائل القرن العشرين أين تمّ إعادته إلى أصله[10].

أمّا عن مخطّطهما العام فقد وضّحت الأستاذة خيرة بن بلّة في دراستها التّي شملت المنشآت الدّينية العثمانية المشهورة بمختلف المدن الجزائرية أهم النّقاط الأساسية التّي توضّع عليها التّشكيل التّخطيطي للمساجد العثمانية في الجزائر بصفة عامة ولمسجدي معسكر العثمانيان بصفة خاصة، فقد اتّفقت الأستاذة مع باقي الباحثين الذّين درسوا العمارة الدّينية بالجزائر خلال التّواجد العثماني بتقسيمها وفق طرازين رئيسيين هما الطّراز المحلّي التّقليدي يستمدّ أغلب أحكامه البنائية لعناصره المعمارية من المذهب المالكي كالمئذنة المربعة والعمق العرضي لبيت الصّلاة والصّحن والدّعامات أو الأعمدة وينتمي إليه الجامع الكبير بمعسكر، ثمّ طراز وافد يستمدّ هو الآخر أحكامه البنائية من المذهب الحنفي كالاكتفاء بأقل عدد ممكن من الأسطوانات والقبّة المركزية والامتداد العرضي لبيوت الصّلاة وعدم انتظامها تخطيطيا وغياب الصّحن غالبا ومئذنته الدائرية أو المضلّعة وينتمي إليه جامع عين البيضاء بمعسكر.

يقوم المخطط العام للجامع الكبير بمعسكر على بيت صلاة قوامها نظام أعمدة ودعامات يقسّمها إلى خمسة أساكيب متماثلة ورواق في الأخير مختلف بواسطة خمسة بوائك ذات عقود متجاوزة وست بلاطات عمودية على جدار القبلة[11] والسّابعة تنتهي إلى المئذنة، أورد الأستاذ عبد القادر قرمان في مجمل حديثه عن مساجد معسكر خلال العهد العثماني أن الجامع الكبير بمعسكر ينتمي إلى نوع المساجد الذّي اعتمد في تخطيطه على بيت الصّلاّة المتكوّنة من بلاطات وأساكيب تتوسّطها البلاطة المستعرضة[12]، كما أن الصّحن يحتلّ يسار بيت الصّلاة.

---

[9] ذكر قدور بوجلال أن الباي محمد بن عثمان الكبير هدمه كليا وأعاد بنائه من جديد. أنظر: قدور بوجلال، المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 7، العدد 1، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، ص44.

[10] اختلف في تاريخ ذلك ما بين 1905م و1910م كما يرى Gorgos وكما نقل مبروك مهيريس عن مجموعة من كبار حي عين البيضاء. أنظر كلا من :.Gorgos, Notee sur le Bey D'oran, T2, P32. و أيضا: مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2009م، ص 52.

[11] خيرة بن بلّة، المنشآت الدّينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008م ، ص 150.

[12] عبد القادر قرمان، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني: دراسة أثرية عمرانية ومعمارية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015م، ص 232.

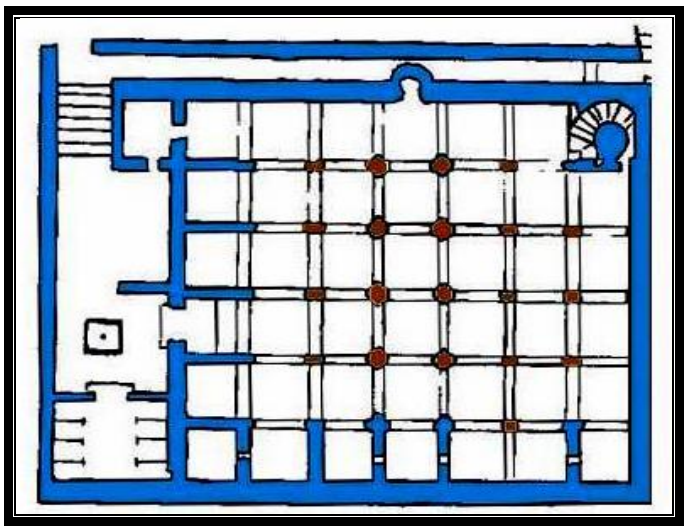

المخطط العام للجامع الكبير بمعسكر نقلا عن خيرة بن بلّة

أمّا جامع عين البيضاء فجاء مخطّطه مربّعا يتوسّطه جزء مركزي محاط برواق من الجهات الأربع، وهذا النّوع من المخطّطات حسب الأستاذان قرمان عبد القادر وخيرة بن بلّة ينتمي إلى الصّنف الأوّل من الطّراز الوافد عن بلاد الأناضول والذّي يقوم أساسا على قاعة صلاة مربعة مغطّاة بقبّة مركزية ومحاطة برواق من جميع جهاتها مقسّم إلى فراغات مربعة تغطّى بقبيبات أو أقبية أحدهما أو كلاهما معا[13].

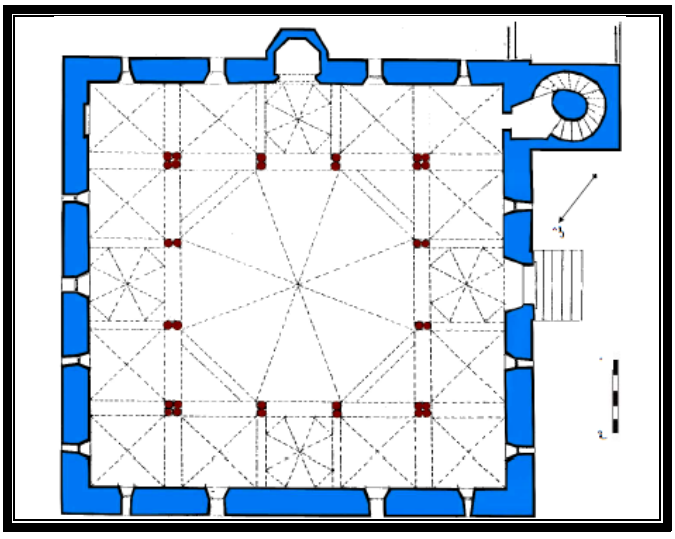

مخطط مسجد الدار البيضاء بمعسكر نقلا عن خيرة بن بلّة

[13] عبد القادر قرمان، نفسه، ص 235. وأيضا: خيرة بن بلّة، المرجع السابق، ص143.

4- عناصر الدّعم بمسجدي معسكر العثمانيين:

أ. **الأعمدة والدّعامات:** تعتبر الدّعامة الجزء الدّاعم للسّقف أو الجدار أو العقد ، والحامل والرّافع لها، ويختلف مقطعها من دائري إلى مربع، أو مستطيل، أو بيضاوي، أو نصف دائري، أو أكثر من النّصف [14]، وأشار الأستاذ م. مهيريس إلى نقطة مهمّة فيما يخصّ الأعمدة والدّعامات بمسجدي معسكر العثمانيين وهي عدم ارتكازها على قواعد[15]، ويبدو أنّه تدارك الأمر حينما أشار بعد ذلك إلى أن الرّواق المضاف بالجامع الكبير ترتفع أعمدته على قواعد يتراوح علوّها بين 5 سم و50 سم وطول ضلعها 30 سم[16].

- ✓ **الأعمدة** : العمود هو ما تحامل الثقل عليه من فوق كالسّقف يعمد بالأساطين المنصوبة[17]، وهو كذلك ما يدعّم به السّقف أو الجدار[18]، والعمود هو ما يدعّم به الجدار[19] ، فنقول عمد السقف أي : أقامه بعماد ودعمه، وعمد الحائط دعمه وجعل له عمادا، أما في العصر الإسلامي فقد بدأ المسلمون باستخدام جذوع النخيل لحمل سقوف مساجدهم الأولى، مثلما حدث في مسجد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة المنورة وبمسجد عمرو بن العاص[20]، وقد أطلقت عدّة مسميات على العمود، مثل العمود في المشرق والسّارية في المغرب والشّمعة في لبنان، والأعمدة هي الركيزة الأساسية للمبنى، لذلك نجدها قد استعملت منذ الفترة القديمة، فظهر عند المصريين الأعمدة المربّعة والمستديرة والمركبّة، وعند الإغريق استعملت الأعمدة الأيّونية والكورنثية والدّورية، وأضاف لهم الرّومان الأعمدة التّوسكانية و المركبة، ثم تطورت هذه الأعمدة مع مرور الزمن، أما المسلمون فقد استعملوا جذوع النخيل و الأشجار أحيانا، و ما وجدوه أمامهم من أعمدة البنايات القديمة في أحيان أخرى[21]، واستعملت هذه الأعمدة إما لحمل العقود و الأسقف و القباب، أو ملتصقة بالجدران للتدعيم أو للتزيين خاصة بوضعها على جوانب المداخل، ويتكون العمود عامة من قاعدة يتكئ عليها البدن لها أساس تحت مستوى الأرض يسمى الوسادة، و يعلو البدن تاج تعلوه القرمة التي تعلوها الحدارة ، و على هذه الأخيرة يستريح كتف العقد أو يستند السقف.
- ✓ **الدّعامات** : هي من أهم العناصر التي يرفع بها و عليها السقف، تختلف تقنيات بناءها و موادها، تأخذ غالبا المساقط المنتظمة المربعة أو المستطيلة، أو الدائرية، أو متقاطعة من مستطيلين على شكل رمز(+)، أو التي تميل إلى المتقاطعة[22] أو المثمنة.

---

[14] قتيبة الشهابي، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996م، ص237.

[15] مبروك مهيريس، المرجع السابق، ص105.

[16] نفسه، ص105.

[17] جمال الدّين بن منظور، لسان العرب، مج4، دار لسان العرب، بيروت، 1999م، ص295.

[18] عبد الرّحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، بروس برس، بيروت،1988م،ص33.

[19] نفسه، ص34.

[20] سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2004م، ص283.

[21] قرمان عبد القادر،الدّعائم والحوامل في العمارة الإسلامية: دراسة نموذجية، مجلة آثار، العدد8، معهد الآثار، الجزائر، 2011م، ص112.

[22] الدّعامات التي تميل إلى المتقاطعة هي التي جاءت متقاطعة المسقط ولكنها غير بارزة الأضلاع.

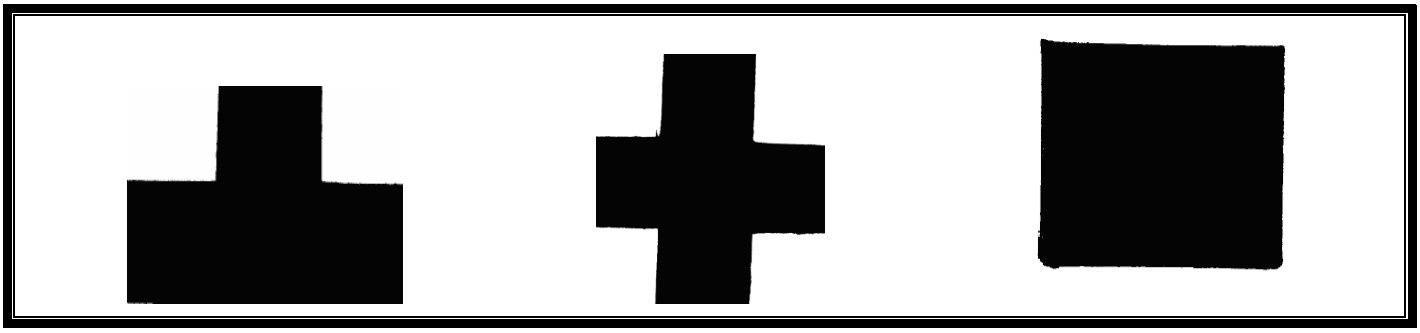

أشكال لأنواع الدعامات المستخدمة بمنشآت معسكر الدينية– من إعداد الطالب–

وتبنى عادة بطريقتين : إمّا بالحجارة المنحوتة واحدة فوق الأخرى، أو بواسطة قطع الآجر ورصّها في صفوف، ويعطي عبد الرحيم غالب فرقا واحدا بينها و بين العمود بأنها أضخم من هذا الأخير[23].

أمّا فيما يخصّ الإحصاء العام للأعمدة والدّعامات بأنموذجي الدّراسة وبالرّجوع إلى أهمّ الأبحاث التّي تناولتها فنجد:

- ✓ **العمود الأسطواني:** وهو العمود ذو ساق دائرية تواجد في كلّ من المسجدين بصفة مزدوجة أي مثنى مثنى، وتراوحت بين 28 ثنائية[24] أي بمجموع 56 عمود أو أسطوانة داخل بيت صلاة الجامع الكبير، و8 ثنائيات مجموعها 16 عمود أسطواني كما هو الحال بجامع الدّار البيضاء.

[23] عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص189.

[24] ذكرت الأستاذة خيرة بن بلّة بأن عددها 20 زوجا وليس 28، واحتمال هذا الاختلاف في اعتقادي الشّخصي راجع لأحد الأمرين: إمّا خطأ في الكتابة أو إدماج الأستاذ مهيريس للأعمدة الثنائية والثلاثية ضمن نمط واحد، للإشارة فإنّ الأستاذة بن بلّة وخلال دراستها التّي شملت عديد العمائر الدّينية في الجزائر المشيّدة أثناء التّواجد العثماني بها خلصت إلى وجود هذا النّمط من الأعمدة الأسطوانية المتجمّعة على شكل ثلاثيات في جامع معسكر الكبير فقط في تحليلها للأعمدة عامّة، وإن كانت ذكرت مسجد الدّار البيضاء مكان الجامع الكبير سهوا منها، أنظر: خيرة بن بلّة، المرجع السابق، ص225.

الأعمدة الأسطوانية الثنائية المجموعة بجامعي العين البيضاء على اليمين ومعسكر الكبير على اليسار نقلا عن خيرة بن بلّة ص 590.

أو بصفة رباعية أي من أربعة أعمدة وهو ما تميّزت به مساجد معسكر سواء بشكل متقاطع كما هو الحال بالجامع الكبير وعددها 10 رباعيات أو بشكل متجاور كما هي بالنسبة لجامع الدّار البيضاء وعددها أربع.

الأعمدة الأسطوانية الرّباعية المجموعة بجامعي العين البيضاء على اليمين ومعسكر الكبير على اليسار نقلا عن خيرة بن بلّة ص590.

وأشار الأستاذ قرمان عبد القادر إلى الأعمدة الأسطوانية الثلاثية المجموع ملتصقة مع بعضها البعض[25] وإن كان لم يبيّن عددها ولا موضعها في نماذج دراسته، وعكس ذلك قامت الأستاذة خيرة بن بلّة بالإشارة إلى وجودها على مرّتين بالجامع الكبير في معسكر، وهو ما لم يشر إليه الأستاذ مبروك مهيريس أثناء إحصائه للأعمدة الأسطوانية.

[25] عبد القادر قرمان ، المرجع السّابق، ص 276.

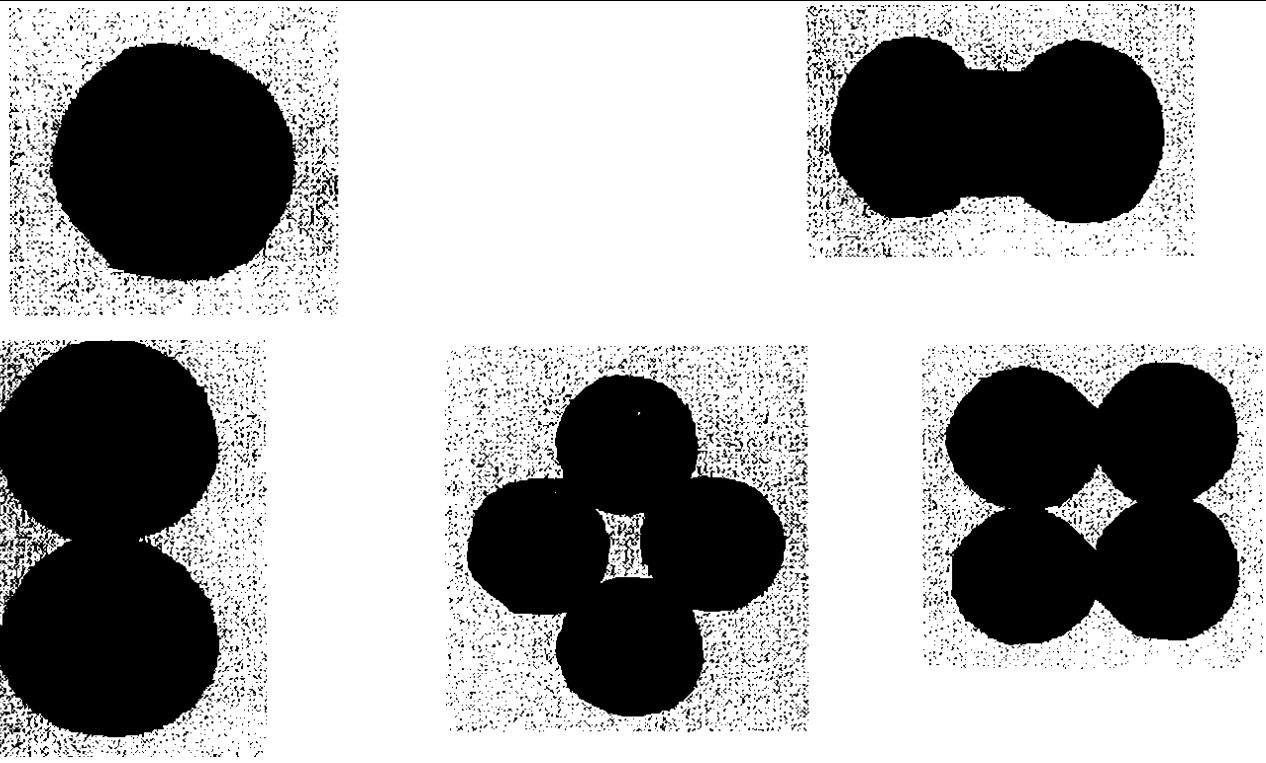

المقاطع الأفقية لأنماط السيقان المستعملة بجامعي معسكر العثمانيين والتّي أشار إليهما الأستاذ مبروك مهيريس ص116.

✓ **الدّعامة والعمود المربّعين:** لم تستعمل بكثرة واقتصر تواجدها حسب ما أشارت إليه الأستاذة بن بلّة في الجامع الكبير وهي من نمط الدّعامات المتقاطعة عن طريق زاويتين[26]، ونفس الملاحظة أبداها الأستاذ مبروك مهيريس في دراسته حيث وضّح نوعية هذه الدّعامات المتقاطعة بأنّها على شكل علامة زائد (+) ويوجد في الجامع الكبير فقط [27]، ويضيف الأستاذ مهيريس أنّها في الأصل لم تبن هكذا وإنّما كانت تشكّل الجدار الجنوبي لبيت الصّلاة قبل التوسعة[28]، وعددها خمس دعامات.

[26] خيرة بن بلّة، المرجع السابق، ص233.

[27] مبروك مهيريس، المرجع السابق، ص125.

[28] نفسه، ص 125.

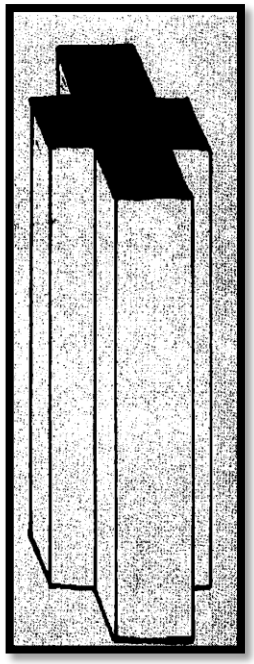

شكل الدّعامات المتقاطعة بجامع معسكر الكبير على اليمين نقلا عن مهيريس ص126 وصورتها على اليسار نقلا عن بن بلّة 602.

ب.عناصر الانتقال: ترتبط هذه العناصر ارتباطا وثيقا بالعنصر الذي يعلوها و المتمثل في القبة، فهي– مناطق الانتقال– القاعدة الأساسية التي تقوم عليها القبة، و تحتل هذه العناصر الأجزاء الركنية للمبنى غالبا، وتتنوع عبر عدة أنواع لعلّ أهمها المثلثات الكروية و الحنايا الركنية والمقرنصات الركنية، ورقاب القباب، والعوارض المصلبة والمحارات وغيرها.

- **مناطق الانتقال:** لقد طرح الدكتور حسين مؤنس مشكلة كانت في الأصل مطروحة منذ القديم، إذ وبعد إعطائه تفسيرا معماريا للقبة بقوله عنها: ".... ومن الواضح أن القبة تنشأ من عقود متقاطعة في مركز واحد هو المفتاح الرئيسي الأعلى للقبة."[29]، أضاف متحدثا عن الطرح السالف ذكره :"... ولكي تتلاقى العقود في نقطة واحدة على هذه الصورة، لا بدّ أن تقوم أرجلها على كتف دائري أو مثمن أو مسدس، وتلك كانت المشكلة الأولى التي تعين على المعماريين حلها، لأن الغالبية العظمى من المباني مربعة أو مستطيلة، فلا بدّ إذن من تحويل أعلى البناء المربع إلى دائرة."[30]، فتمّ ابتكار عناصر معمارية تكون مراكز للانتقال من شكل إلى شكل، واحتلت هذه الأخيرة الزوايا الركنية في المباني المربعة أو المستطيلة.

وقد عدّد ح. مؤنس الحلول التي ابتكرتها الشعوب التي قبل الإسلام، فذكر أن الرومان حلّوا هذه المشكلة ببناء ما يسمى بالمثلثات الكروية، وابتكر الفرس حنية الأركان أو الحنايا الركنية، وأضاف لهما المسلمون ابتكارا ثالثا تمثل في تحويل الحواف المربعة للجدران إلى هيئة مثمن، أو أن تقوم القبة مباشرة على هيكل من الخشب[31].

---

[29] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 140.

[30] نفس المرجع والصفحة.

[31] نفسه، ص 141. – بتصرف–

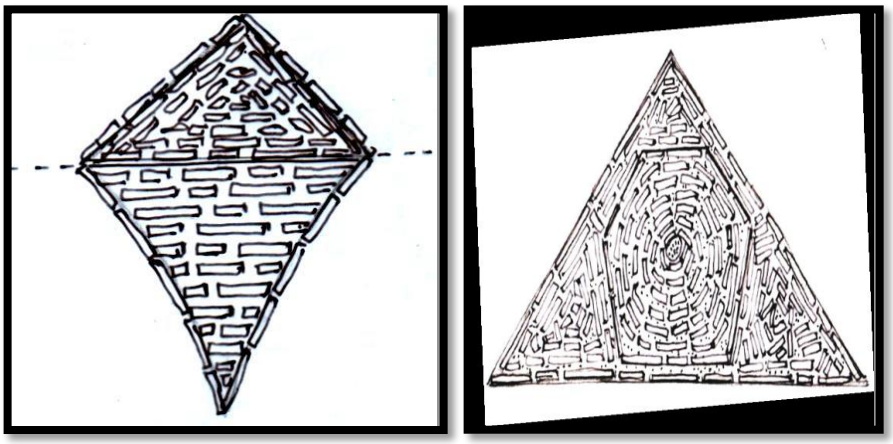

شكلا المثلثات الكروية (على اليمين) والحنيات الركنية (على اليسار) كما تصورت ذلك رفيقة لعزازي عتيق ص 223.

أمّا بمسجدي معسكر فقد أشارت الأستاذة بن بلّة عندما تحدّثت عن القياسات العامّة للقباب وعددها إلى نوعية العناصر المنتقلة عليها، فالقبّة التّي تتقدّم محراب الجامع الكبير بمعسكر تميّزت بحنايا ركنية جديدة عن شكل المحارات التّي كان قائما سابقا إذ تظهر بشكل ورقة مفتوحة الفصّين[32]، أما بخصوص جامع الدّار البيضاء فقد أشارت الأستاذة أنّه لا توجد مرحلة انتقالية بين المربّع والمثمّن في القبّة المركزية بل وضع مباشرة، ممّا نتج عنه أربع مثلّثات مزيّنة بنجوم[33].

- **العقود:** العقد أو القوس عبارة عن امتداد صلب منحن لأعلى بين نقطتين تدعّمانه، تعتبر العقود من الوحدات المعمارية التي تجمع بين دورين، وظيفي معماري وجمالي، ففي الحالة الأولى تبرز أهميته في قوة تحمل السقف، والإنارة والتهوية من خلال فتحته، أما كعنصر جمالي فإنّ شكلها هو الذي يوحي بذلك[34]، وقد طوّر المسلمون أنواعا مختلفة من الأقواس، فجاءت مدبّبة ودائرية وحذوية، وجعلوا للأقواس وظيفة هندسية وجمالية في آن واحد، وتميزت العقود في مسجدي معسكر العثمانيين بتعدد أشكالها، وتفاوت أدوارها ما بين جمالية ووظيفية، وارتكزت العقود على الأعمدة والدعامات المتمركزة ببيوت الصلاة أو مصمطة بالجدران، كما توّجت نهايات المداخل والفتحات والكوّات وحنيات المحاريب ومداخل المنابر[35]، ويمكن الإشارة إليها:

✓ **العقد المنكسر:** هو ناتج تقاطع قوسين في الرأس بمركز دائرتيهما داخل العقد في مستوى قاعدته، ووجد أعلى نوافذ جامع عين البيضاء كما أشار إليه الأستاذ عبد القادر قرمان [36].

---

[32] خيرة بن بلّة، المرجع السابق، ص267.

[33] نفسه، ص268.

[34] أوقطاي أصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، تر: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1987م، ص41.

[35] تجنّبا للتكرار فإن الحديث عن العقود في هذه العناصر المعمارية مرتبط بالحديث عن كل عنصر منها على حدا.

[36] عبد القادر قرمان ، المرجع السابق، ص 284.

- ✓ **العقد المفصّص:** هو ناتج توالي سلسلة صغيرة من العقود الصغيرة، اقتصر استعماله بالمدخل الرّئيسي لجامع عين البيضاء، ذكر الأستاذ قرمان بأنّه يتكون من ثمانية عشر فصّا[37].
- ✓ **العقد الحذوي:** عرّفه الأستاذ فريد الشّافعي بأنه عقد مستدير يتجاوز محيطه نصف محيط الدّائرة[38]، ولقد جاءت أغلب عقود مسجدا معسكر من هذا النّمط إذ وصف الأستاذ عبد القادر قرمان استعماله ببيت صلاة الجامعين بكثرة[39]، بينما ذكرت الأستاذة بن بلّة أن كل عقود بيت الصّلاة بالجامعين عقود حذوية[40].

عقود بيت الصلاة بالجامع الكبير نقلا عن خيرة بن بلة ص 638 .

[37] نفسه، ص 287.

[38] فريد الشّافعي، المرجع السّابق، ص 201.

[39] عبد القادر قرمان، المرجع السّابق، ص283.

[40] خيرة بن بلّة، المرجع السابق، ص 249،250.

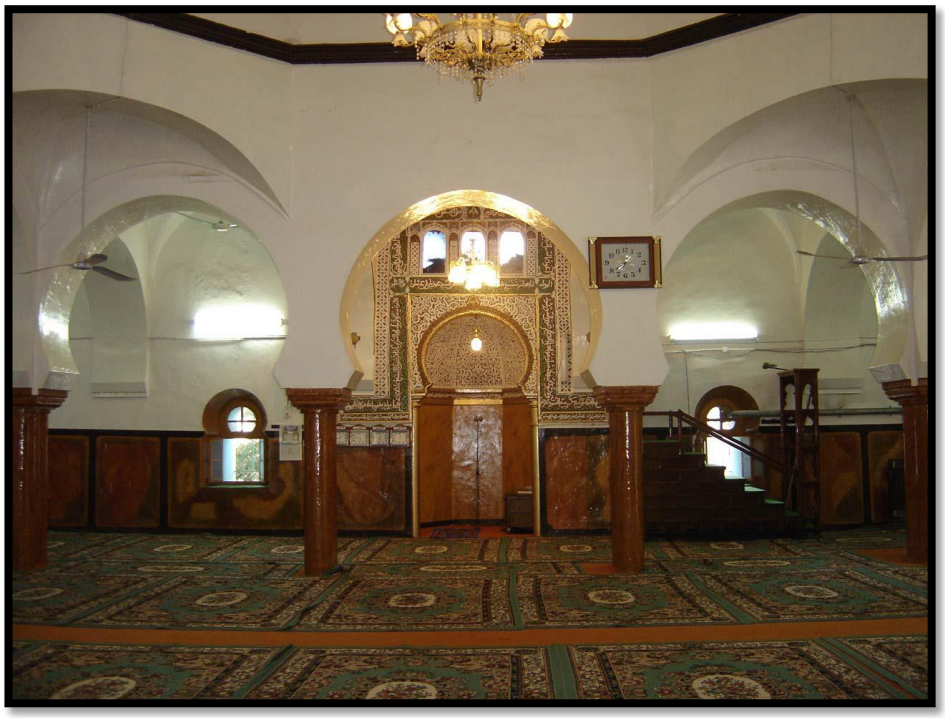

عقود بيت الصّلاة ومراكز الانتقال في القبة المركزية بمسجد عين البيضاء نقلا عن خيرة بن بلّة ص641.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث نشير إلّا أنّه وبالرّغم من التّغييرات والتّعديلات التّي مسّت أغلب العمائر الدّينية المبنية بالجزائر خلال التّواجد العثماني بها، إلّا أنّنا نستطيع أنّ الكثير من عناصر الدّعم بها بقت على حالها وهذا لكونها المرتكز الأساسي لهذه العمائر،أمّا عن هذه الأخيرة– عناصر الدّعم– فقد تنوّعت من حيث الشّكل والطّول وطريقة البناء وتقنيته ومواده، كمّا اختلفت مواضعها ودورها مابين الوظيفي والجمالي.

إنّ هذا التّنوع في الأنماط تأثّر طبعا بما حوله أو ما سبقه من ابتكارات وتقنيات في المجال المعماري العام لهاته العناصر، كما ولا بدّ أنّه قد أثّر فيما بعده.

يظهر هذا التّأثر والتّأثير لعناصر الدّعم في العمائر الدّينية العثمانية بالجزائر في كونها شهدت تنوّعا سواء من حيث تنظيمها أو من حيث أشكالها وزخرفتها.

انطلاقا من مسجدي معسكر العثمانيين كأنموذجين حيّين للعمارة الدّينية العثمانية بالجزائر خاصّة وأنّهما لم يعرفا تغييرا كثيرا بعد هاته الفترة يتوضّح لنا أهم الأنماط والتّي يمكن حصرها في:

- الأعمدة الأسطوانية: و التّي جاءت بصفة فردية (في غير مسجدا معسكر) أو ثنائية أو ثلاثية (مضافة حديثا بجامع معسكر) أو رباعية بنمطيها المتقاطع والمتجاور.
- الأعمدة والدّعامات المربعة: تواجدت هي الأخرى بصفة فردية (في غير مسجدا معسكر) أو متقاطعة على شكل حرف (+).
- مراكز الانتقال: توزّعت أشكالها ما بين مثلّثات كروية أو حنايا ركنية، مقرنصات ومحارات أو انتقال مباشر، رقبات للقبّة وحتّى عوارض مصلّبة.
- العقود: رغم كثرة أنواعها وأنماطها وإن حصرت في مسجدي معسكر ما بين الحدوي والمفصّص والمنكسر، فقد تواجدت بأشكال أخرى في مختلف العمائر الدّينية العثمانية المنتشرة بالجزائر.

هذا كلّ ما يمكن الإشارة إليه والتّنبيه عليه من خلال بحثنا المتواضع، والذّي درس عناصر الدّعم بمسجدي معسكر العثمانيين كأنموذجين بغية إسقاط وتعميم ما وصلنا إليه على مختلف العمائر الدّينية المتزامنة معهما.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Gorgos. Notee sur le Bey D' oran (Vol. T 2). Oran.
2. آبا أوقطاي أصلان. (1987). فنون الترك و عمائرهم. (ترجمة: عيسى أحمد محمد) إسطنبول: مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية.
3. أحمد بن سحنون الرّاشدي. (1973). الثّغر الجماني في ابتسام الثّغر الوهراني. (تحقيق وتقديم : مهدي البوعبدلي، المترجمون) قسنطينة: مطبعة البعث.
4. أحمد بن هطّال التّلمساني. (1969). رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي، القاهرة (المجلد ط1). (تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، المترجمون) القاهرة: دار عالم الكتب للنشر والتّوزيع.
5. بلهاشمي. (1961). كتاب مجموع النّسب والحسب والفضائل والتّاريخ والأدب في أربعة كتب. الجزائر: مطبعة بن خلدون.
6. جمال الدين ابن منظور. (1999). لسان العرب (المجلد 4). بيروت: دار لسان العرب.
7. حسين مؤنس. (1978). المساجد، سلسلة عالم المعرفة رقم 37. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
8. خيرة بن بلّة. (2008). المنشآت الدّينية بالجزائر خلال العهد العثماني. رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية . الجزائر، جامعة الجزائر: معهد الآثار.
9. رفيقة لعزازي عتيق. (2013). مواد و تقنيات البناء بالجزائر خلال العهد العثماني. مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستر في الآثار العثمانية . (معهد الآثار، المحرر) الجزائر: جامعة الجزائر 2.
10. سعد الله أبو القاسم. (2007). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 1). الجزائر: دار البصائر.
11. عبد الحق شرف. (2011). العربي المشرفي بن عبد القادر بن علي: حياته وآثاره. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
12. عبد الحميد سعد زغلول. (الإسكندرية). العمارة و الفنون في دولة الإسلام . 2004: منشأة المعارف.
13. عبد الرّحيم غالب. (1988). موسوعة العمارة الإسلامية. بيروت: بروس برس .
14. عبد القادر قرمان. (2011). الدعائم والحوامل في العمارة الإسلامية: دراسة نموذجية. مجلة آثار (العدد8).
15. عبد القادر قرمان. عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني: دراسة أثرية عمرانية ومعمارية. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية. معهد الآثار، الجزائر.
16. فتيحة خروبي. (2014). بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563م و 1792م. مجلة المرآة للدراسات المغاربية، (العدد 1).
17. فريد محمود شافعي. (1982). العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها. الرياض: منشورات جامعة الملك السعود.

18. قتيبة الشهابي. (1996). زخارف العمارة الإسلامية في دمشق . دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

19. قدور بوجلال. (2017). المنشآت التعليمية بمعسكر في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير. مجلة العلوم الإنسانية ، المجلد 7 (العدد 1).

20. مبروك مهيريس. (2009). المساجد العثمانية بوهران ومعسكر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.